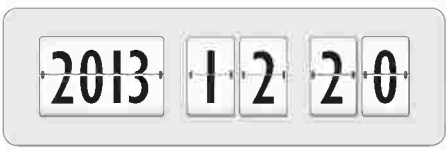

من بداية رئاسة بل، وبسبب مشكلاتنا مع الصحافة في المقام الأول، شعرنا بالغربة عن نخبة واشنطن، الدائرة أساسًا حول الواشنطن بوست؛ ما من أحد في واشنطن بدا معجبًا بي، ومما زاد الطين بلة أن جهاز عاملي البيت الأبيض، بمن فيه الطباخون، الحجاب، الخدم، وحتى الجهاز السري، بدا شاعرًا بنوع من الكره لنا، وقد بدأ الأمر كله في اليوم التالي لحفل التنصيب، مع تقديم وجبة الفطور في الساعة الخامسة والنصف صباحًا! اثنتان من نوبات الخدمة السرية كانتا ستباشران العمل في ساعة مبكرة من الصباح إذا كان بل راغبًا في ممارسة رياضة المشي، وبما أنه كان أيضًا يحب لعب الورق والكلام إلى ساعة متأخرة ليلًا، فإن الأمر كان يعني ساعات أطول للعاملين الذين كانوا مستائين من ذلك. عليك أن تتذكري أنهم كانوا معتادين على عجوزين مستقرين ملتزمين بمواعيد عادية، يمكنك أن تتصوري مدى بشاعة وجود أناس حولك يمطرونك بالأوامر كل الوقت، عالجت الوضع باستخدام آركنسويين في المقام الأول.

بلغ توتر العلاقة بيننا وبين الواشنطيين أوجه في مسألة (ترافلغيت)؛ كان الأمر متعلقًا بمكتب في البيت الأبيض درج منذ سنوات على اتخاذ ترتيبات الأسفار جميعها؛ الرحلات الجوية، والحجوزات الفندقية للجسم الإعلامي

لدى اضطرار الرئيس إلى السفر. بدأ الأمر كله حين أقدم صديقانا الحميمان هاري وليندا ثوميسون على إبلاغي بأنهما يعتقدان أن مكتب السفر كان مشلولاً جراء سوء تدبير مالي فظيع، وكان لدى ثوميسون أيضًا فريق بديل برئاسة أحد أقارب بل مستعد للاضطلاع بالمهمة.

شعر فنس بالقلق إزاء خطوات الطرد التي كنا موشكين على اتخاذها وأمرنا بيت مارفيك من ألكي بي أم جي (KPMG) بدراسة الموضوع، اكتُشف أن وكالة السفريات الداخلية كانت تحتفظ بدفتر خارج السجل، بشيكات غير مغطاة بقيمة (18,000) دولار، وبأوراق مكتبية فوضوية.

رأيت عمليات الإنفاق النقدي غير القابلة للتفسير من قبل الجهاز فرصة ممتازة للخلاص من عاملين مفتقرين إلى الكفاءة، وإن لم يكونوا عديمي الأمانة بالفعل. في أيار/مايو عام 1993م، طردنا مستخدمي مكتب السفر السبع جميعهم؛ كنت شديدة الانزعاج منهم إلى درجة جعلتني أقترف خطأ عدم الاستماع إليهم أو منحهم فرصة الدفاع عن أنفسهم، أدى ذلك إلى إطلاق صرخة مدوية في وسائل الإعلام لم تهدأ حتى يومنا هذا؛ سارعت الصحافة إلى الانقضاض على القصة، وركزت لا على مخالفات المكتب كما كان يجب أن تفعل، بل على ما أطلقت عليه اسم (أسلوبنا نحن في الإدارة)، لم يكن ذلك إلا السجال الأخلاقي الأول الذي كان سيتعين علينا أن نتعامل معه.

المزيد من تحقيقات الإف بي آي ووزارة العدل، وتحقيقات البيت الأبيض نفسه، وتحقيقات مكتب المحاسبة العامة، وتحقيقات لجنة الإدارة والمراقبة لدى الإدارة الداخلية، وتحقيقات مستشار وايتووتر المستقل، تعاقبت في غضون الأعوام القليلة التالية، في إحدى المرات كان ثمة تسعة وثلاثون تحقيقًا جارية على قدم وساق في الوقت نفسه، بدا الأمر كما لو كنا في غمرة محاكم التفتيش الإسبانية. يمكنك أن تتصوري كيف أدى هذا إلى سجني في حالة من التوتر كما إلى تشابكنا؛ بل وأنا في صراع محموم لأعوام، وكل منا يلوم الآخر متهمًا إياه

بكونه السبب الكامن وراء انزلاقنا إلى هذه المتاهة. جرى اتهام مدير مكتب السفر بيلي ديل بالاختلاس، إلا أن ما باغتني هو أنه وُجد بريئًا غير مذنب في 1995م.

في عام 1988م، برَّأ المحامي المستقل كنث ستار زوجي من أي تورط في القضية، فبات تنفسنا أيسر قليلًا. ما أثار غضبي أن فرط اهتمام وسائل الإعلام بنا أجبرنا على إعادة معظم المستخدمين إلى وظائف أخرى ونقل عناصر كلنتون من مناصب مكتب السفر، مازلت أعتقد أنني كنت على صواب في طردهم، إلا أن الأمر لم يؤدِّ- يقينًا- إلى جعلي الآنسة شعبية في واشنطن العاصمة!

حين أصدر كنث ستار مذكرة استدعاء لي للإدلاء بشهادتي أمام المحلفين حول سجلات فواتير مفقودة، تملكني الغضب وانتكست إلى مزاجي الكئيب؛ أنا وجدانية جدًّا، وآلمني كثيرًا أن يُشكِّك بصدقيتي على الملأ أمام الأمة، بل أمام العالم كله، كذلك انتابني القلق إزاء احتمال انعكاس شهادتي سلبًا على رئاسة بل وتمخضها عن نسف ثقة الناخبين بنا، أردت أن أكون صنوًا سندًا، لا عبئًا ثقيلًا عليه، وأخبرته بذلك، فاستاء كثيرًا متعاطفًا معي وطالبني بعدم الاكتراث، كنت عميقة التقدير لدعمه.

نحن أسرة متماسكة حين يتعرض أحدنا لأي مشكلات، تشلسي أيضًا قلقت كثيرًا علي؛ كانت قد أصبحت آنسة شابة ودائبة على متابعة أخبار التحقيقات عن كثب إلى درجة مزعجة لي أحيانًا، غير أن «ما يذهب يمينًا يأتي يسارًا» كما يقول المثل القديم، كنت قد طمأنتها ووفرت لها الحماية طويلًا، فأرادت أن ترد الجميل، حاولت أساسًا تجنب إزعاجها بما كان حاصلًا غير أني امتثلت حين أفادت بأنها تشعر بالتحسن حين بحت لها بمشاعري.

ومما ضاعف صعوباتنا في تلك الأثناء أن كتاب ديفيس مارانيس: أول في طبقته، نُشر وكشف الغطاء أمام الجميع عن جملة المصائب التي جلبتها

حماقات بل على زواجنا، كنت شديدة الغضب لاسيما من صديقتي وصديقي؛ بتسي رايت وديك موريس اللذين كانا قد أفشيا تفاصيل عن زواجنا لمارانيس، تملكني أسى شديد حتى عدت إلى تشغيل مواصفاتي (الثلاجية). رفضت الكلام مع بل لأسابيع، وتركته ينام في الطابق السفلي على إحدى الأرائك، حاولت تجنبه ما استطعت خارجة من الغرفة إذا دخلها، لم أرد أن أكون حيث يكون، عازفة عن القيام بأي شيء معه، وحتى تشلسي جُنت من أبيها للمرة الأولى في حياتها؛ أردت لَيَّ عنق بل إلا أنني فكرت بأن من الأفضل ألا أفعل؛ فإضافة إلى كونه زوجي، كان رئيس جمهوريتي.

باستثناء التعليق الوحيد الذي أدليت به في بداية الجلسة، بقيت -عمليًّا- ملتزمة الصمت الساعة كلها، شعرت بأن هيلاري كانت بحاجة إلى التنفيس عما في داخلها، لم تبدُ منتبهة إلى صمتي وغادرت في مزاج أفضل على ما بدا.